

برشقة عجلة أدار سامح المفتاح، ودفع الباب، كاتفه  
وانحسر معه أخوه التوأم سميح، ليعبدا معا عتبة الشقة  
الجديدة.

هاج سامح، صرخ بانفعال غير مكظوم كعادته:  
«الدش وصل يا رجاله.. الدش وصل».  
بلا أدنى درجة من درجات التعبير، تقدم «سميح»  
وأدار التليفزيون. بقي لفترة.. يعبث ويدير ويبحث عن  
القنوات السحرية التي يسمع عنها.

السيد عبدالعزيز نجم  
مصر

# الدخان

.. بتؤدة لحقهما «الأب والأم» لم ينتبه الولدان،  
سرعان ما شاركتهما الأم، بالارتصاص وقوفاً تتابع  
ما التقطه ابنها على الشاشة المجسمة، وقد انشق  
وجهها عن انفراجة فسيحة بين شففتيها، تشي  
ببسمه عريضة لم تخب.. فهي صاحبة الفكرة في  
شراء الدش ونفذ الرجل.

ارتمى «عبدالستار المنوفي فوق كرسي الفوتيه  
المتسع ذي القاعدة الغائرة أكثر من اللازم، والمساند  
المرتفعة والظهر العالي، لم يرتح إلا بمد ساقيه  
أمامه، راشقا حذاءه في وجه زوجته التي فضلت  
حالا الجلوس وإن بقيت معلقة بالشاشة هناك  
بكليتها، حتى إنها لم تنتبه لاعتراض زوجها على  
طراز هذه المقاعد الذي اختارته دون غيره، ففضل  
الصمت والتفكير ملياً عن مصدر تلك الأتربة التي  
علقت بمقدمة حذائه الأسود اللامع.. ومن أين  
واتته؟!

بغمزة هيئة رسمها سامح على جانب عينه  
اليمنى انسحب شقيقه خلفه اختفيا بالحجرة  
الداخلية البعيدة بعد أن اجتازا ممرا ضيقا معتما  
بعض الشيء بالرغم من شمس الظهيرة.

.. بجهاز التحكم، أغلق الأب التليفزيون، وبقي  
على حال صمته وإن لاح شرود تلبسه وفرض نفسه  
على عينيه الزائغتين وعيني زوجته.

باستمتاع وسكينة اكتفيا بالانزواء داخل خليط  
تلك الروائح، مزيج من رائحة ملاء خشب الأثاث  
الجديد الممزوجة برائحة طلاء الحوائط الزيتية الحادة  
منداحا في رائحة «كمكة» هواء الشقة، وقد انشغل

جميعهم بالدش حتى نسوا تشغيل أجهزة التكييف.  
ارتشفا الروائح في صمت وبطء بات لصوت  
الشهيق العميق والزفير الزاقق.. وجود لذيق  
يعادل لذة الحملقة في النجف المذهب المدلى  
والأثریات المنثورة بين جنبات الصالة. لم  
تسقط عين أحدهما على الآخر، كما لم يعبر

أحدهما عما يشعر به من سعادة. ربما يخشيان التعبير عن الفرحة بتحقيق الحلم بعد عشرين سنة مع الغربة.. تشخص أخيراً في تلك السيارة المشرفة أمام باب العمارة، وبرصيد لا بأس به في أحد البنوك الأجنبية، ثم بذلك الشقة.

وفي لحظة لم يتفقا سلفاً عليها، انتبها وكأنهما خشياً معاشرة تحقق الحلم. اقترح الأستاذ عبدالستار بأن يسرع في ذبح الجدي الذي نذره في صباح اليوم التالي.. ولم يصمت.. قال متابعاً: «نذبحه في البيت القديم، أنا فاهم.. هو هنا في مكان للدم والبهذلة»

... باطمئنان اكتفت الزوجة بما سمعت، وبالانشغال في إشعال ستة أعواد بخور، اشترتها من حي «الحسين».. أخرجتها من حقيبتها «الليزر»، رشقت الأعواد وقد انطلقت أبخرتها بين ثنايا الشقة، تابعت حتى بعد أن حذرها زوجها من الأبخرة وأزمة الربو التي تنتابه فجأة، لكنها ابتسمت قائلة: ... إن شاء الله سليمة!

رويداً غشي الدخان كل شيء، حتى شاشة التليفزيون. وقد عاودت الزوجة تشغيله، يعرض أشباحاً بلا صوت لقناة إفرنجية. اكتفى الرجل بمطاردة الدخان المقذوف نحو أنفه في آلية ملولة وغير مجدية كما يظن، انفرط السؤال: «أين العيال؟» لم يسمع رداً، فعاد حركة يده التي تصارع أشباح السموات والأرض التي ارتسمت له.

تذكر أياماً خلت، يث فيها شكواه لزوجته عن هموم العمل ومشاكله، فكانت تواسيه بكلمة وربما بقبلة وديعة فوق جبهته العريضة التي تصل إلى نصف رأسه الأصلع، اعتادت إن أرادت أن تجعله ينطق، تسأله عن أحواله في العمل، فهو لا يجيد حديث الحب والهيام، ولا حتى أحاديث الكرة، فعشقت صمته وكلماته عن العمل وحسب.

واعتادت مثله النوم في التاسعة مساءً حتى سخر منهما الولد سامح، أطلق عليهما جملته الفكاهة كلما لمحاهما وهما في طريقهما إلى غرفة النوم، يقول: «الكناكيت تنام في التاسعة».

فتبتسم الأم وتهمس في أذن زوجها: «ربنا خلق أولادنا على عكس ما يقوله الطب.. توأمان متماثلان لكن مختلفان في الطباع تماماً». ودائماً يكتفي الأب

بالابتسامة. ولما قرر الزوج أن يعاتب زوجته على إشعال البخور، عاد وتردد على قناعة منه بأن العين فلقت الحجر.. فصمت.

بقي على حال تأمل صوت خشخشات صدره المنتظمة مع كل نفس جديد، كأن الجن صبت داخل رثتيه بفيض من البلغم اللزج لا يقوى على طرده، وإن حاول بافتعال السعال الخشن.. هيهات. فيما كانت الزوجة تتقافز بين أركان الصالة، مستغرقة في إعادة ترتيب الأثاثات هنا وهناك، لم تنتبه لصوت زوجها المبحوح الممزق وإن استعان بأصابعه العشرة كفيه وذراعيه. عجز عن جذب انتباهها أو إسماعها كي تحضر له الدواء.

لم يخب الدخان ولم يضمحل، زاد بحيث نجح في اجتياز دفاعات الرجل ومحاولاته، ولم يعد يرى شاشة التليفزيون، ولا يشم هواء نقياً، حتى لما عض إصبعه السبابة من الألم، فبان له أن للدخان مذاقاً لاذعاً.

لم يتحمل أكثر نهض ليحضر الدواء بنفسه، يجهل موضعه، صاح.. حاول: «أين الرشاشة؟» لم يسمع رداً، وإن ظن في نفسه أنه نطقها بصوت زاعق.

اخترق الممر المعتم، عبر عتبة باب الحجرة الداخلية، لم ينتبه له الولدان، بدأ يعبث في الأدراج هنا وهناك، سألها: «أين الرشاشة؟» لم يسمع رداً، بينما شاشة التليفزيون تعرض مشهد رشاش آخر يقذف بمياه دافئة، وإحداهن تلتوى تحته كل ما شغله إن كانت تلك الغبشة التي يراها في الصورة.. من دخان البخور أم أبخرة المياه، أقسم في نفسه أنها من أدخنة زوجته التي تطارده منذ صباح اليوم. لا يدري أحد.. من أين واثته تلك العافية التي غلبت نوبة الربو حين قال: «الدخان ملأ الدنيا كلها، حتى قنوات الخواجات؟».

انتبه الولدان، خجلاً مما في رأسيهما، فازرقت البشرة المحتقنة. قدمت الأم لعلها تفهم.. لم تفهم خصوصاً أن زوجها نسي الدواء وبدأ ينتاجر معها أنها وراء هذا الدخان الذي ملأ الدنيا كلها. لم تستفسر، خرجت.

تركت أنفاس الرجل السريعة الضحلة تفرض نفسها على سحنته حتى بدت بشرته غامقة، كأنه يختنق، فارتدى إلى أقرب مقعد صامتاً.. بينما أسرع الولدان لمتابعة المشهد، والمشاهد التالية...